عقيدة التوحيد وأثرها في تكوين الشخصية المتقنة والمبدعة

أ. د. سعد بن علي الشهراني

الأستاذ بقسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى

البريد الإلكتروني: *samshahrani@uqu.edu.sa*

(قدم للنشر في ١٠/ ١٠/ ١٤٤١هـ؛ وقبل للنشر في ٢٤/ ٠٩/ ١٤٤٢هـ)

المستخلص: الإبداع والإتقان مطلب عالمي وتكوين الشخصية المبدعة تسعىٰ له كل الدول والشعوب وعقيدة التوحيد لها الأثر الكبير في تكوين المبدعين وهذا البحث يؤكد ذلك، وفيه ثلاثة مباحث؛ بحيث يندرج تحت كل مبحث نوع من أنواع التوحيد الثلاثة وبيان أثره في إتقان العمل والإبداع.

ومن نتائجه:

– وجود علاقة طرديه بين قوة المسلمين وإتقانهم وإبداعهم وبين قوة توحيدهم وتاريخ الأمة الإسلامية وقيام دولها وسقوطها خير شاهد علىٰ ذلك.

– حين يقرّ الإنسان بتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته للكون، وأنه يسيّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلىٰ أكبر مجرّة، فنرىٰ الموحِّد يَنْظر إلىٰ الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير؛ ويثمر ذلك إتقان الموحد لعمله وإبداعه فيه وعقيدته تدفعه فهو مأمور بذلك دينًا، ومثاب علىٰ كل ما يقوم به من عمل جلّ ذلك العمل أم صغر.

– من أعظم مفجرات الطاقة الإبداعية ودوافع الإتقان لدىٰ المؤمن، الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا، باستقراء آثارها وانعكاساتها في الخلق والأمر، وكذلك الإيمان بالغيب وعقيدة التوحيد في الإسلام فهي تمنح المسلم الرضىٰ بالله ربـًا عليه يتوكل، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد وإليه يحتكم، فقد كانت حافزة للمسلم علىٰ اكتشاف قوانين وسنن الله في الكون والأنفس وتسخيرها لصالح الإنسان.

الكلمات المفتاحية: التوحيد، الشخصية، الإتقان، الإبداع.

The doctrine of monotheism and its effect on the formation of the masterful creative personality

Prof. Saad bin Ali Al-Shahrani

Professor, Department of Creed, College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University
Email: samshahrani@uqu.edu.sa

(Received 02/06/2020; accepted 06/05/2021)

Abstract: Creativity and mastery is a universal requirement and the formation of the creative personality is sought by all countries and peoples, and the doctrine of monotheism has a great impact on the formation of creative people, and this research confirms that, and it includes three topics: So that under each topic falls one of the three types of unification and its effect on mastery of work and creativity.

Among its results:

-The existence of a direct relationship between the strength of Muslims, their mastery and creativity, and the strength of their unification and the history of the Islamic nation and the rise and fall of its states is a testament to that.

-When a person acknowledges the monotheism of God Almighty in his lordship of the universe, and that he runs the entire universe according to established norms and events, from the smallest atom to the largest galaxy, then we see the monotheist looks at the universe with a correct view, disciplined by a sound method of thinking and thinking. This results in the unified mastery of his work and creativity in it, and his faith drives him, because he is enjoined to do so in debt, and reward for all that he does from the bulk of that work or minor.

key words: monotheism, personality, perfection, creativity.



المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي تفرد بأن يعبد ويحمد، وأشهد أن الله تعالىٰ هو الإله المتوحد، شهادة عبده وابن عبده وابن أَمَتِه، ومن لا غنىٰ به طرفة عين عن رحمته، وأن من ألَّه سواه فقد أشرك وندد، وأن محمداً عبده ورسوله الذي نهىٰ عن الشرك والتنديد وشدد، فشرح الله به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينـًا عميـًا، وآذانـًا صمّـًا، وقلوبـًا غُلْفـًا، فصلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وأصحابه ومن تعبد ووحد. أما بعد:

فإن التوحيد أصل الأصول الذي هو حق الله ﷻ علىٰ العبيد، والله ﷻ إنما عَمَر السموات وخلقها، وعَمَر الأرض وخلقها، ليوحّد سبحانه، خلق السموات وجعل لها عُمّارا، وخلق الأرض وجعل فيها الجن والإنس مكلَّفين، وذلك كله لتوحيده ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦ – ٥٨].

كما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لأجل توحيده ﷻ والقرآن كله توحيد، قال ابن القيم: «بل نقول قولاً كليـًا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل

بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[1].

*** أهمية البحث:**

إن التوحيد هو القاعدة والأساس لقيام ونهضة هذه الأمة أفراداً ومجتمعات لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود، والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلىٰ خالقه الواحد، ولا بد من القاعدة ليقوم البناء. والعمل الصالح هو هذا البناء، وإلا فهو منهار من أساسه ما لم يقم علىٰ قاعدته.

إن الفرد بلا توحيد ريشة في مهَبِّ الريح، لا تستقر علىٰ حال، ولا تسكن إلىٰ قرار، أينما الريح تميلها تمل، الفرد بلا توحيد إنسان لا قيمة له ولا جذور، إنسان قلق، متبرِّم، حائر، لا يعرف حقيقة نفسه ولا سر وجوده، لا يدري من ألبسه ثوب الحياة؟ ولماذا ألبسه إياه؟ ولماذا ينزعه عنه بعد حين؟

الفرد – باختصار – بلا توحيد: حيوان شَرِه، وسبع فاتك مفترس، بقلب لا يفقه، بأذن لا تسمع، بعين لا تبصر، بهيمة؛ بل أضل.

والمجتمع كذلك، المجتمع بلا توحيد مجتمع غابة وإن لمعت فيه بوارق الحضارة؛ لأن الحياة فيه للأقوىٰ لا للأفضل والأفقه.

المجتمع بلا توحيد مجتمع تعاسة وشقاء وإن زخر بأدوات الرفاهية من الرخاء.

المجتمع بلا توحيد مجتمع تافه مهين رخيص، غايات أهله لا تتجاوز شهوات

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٦٨ – ٤٦٩).

بطونهم وفروجهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ [محمد:١٢].

ومن هنا جاءت الحاجة الماسَّة الملحَّة للحديث عن عقيدة التوحيد وأثرها في الحياة بعمومها، وحياة الفرد والأسرة والمجتمع، حياة الأمة بأسرها، وبيان أثرها علىٰ أعمالنا وإبداعنا وتفوقنا وقوتنا.

«ومن تدبر أحوال العالم وجد كلَّ صلاح في الأرض سببه توحيدُ الله وعبادتُه وطاعةُ رسوله، وكلَّ شرٍ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليطِ عدو وغيرِ ذلك سببه مخالفة الرسول ﷺ، والدعوة إلىٰ غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

ولاشك أن هناك علاقة طردية بين قوة المسلمين ونهضتهم وإتقانهم لأعمالهم وبين قوة توحيدهم ومن تتبع تاريخ الأمة الإسلامية عبر القرون رأىٰ ذلك جلياً واضحاً، وتاريخ الدول الإسلامية خير شاهد علىٰ ذلك، فحين تكون الدولة الإسلامية موحدة لربها قوية في توحيدها بعيدة عن الشرك والخرافة تكون في أوج قوتها وعزتها، وحين ينخر فيها سوس الشرك تتهاوىٰ وتسقط وتصبح مستعبدة ذليلة؛ لأنها ابتعدت عن عقيدة التوحيد الخالص.

إن أي تغيير شامل ناجح في الدنيا والآخرة لن يتحقق إلا من خلال العقيدة الصحيحة، وهذا هو منهج الإسلام وتجربة قدوتنا ﷺ، حيث أمره الله تعالىٰ أن يثبت عقيدة التوحيد في نفوس الرعيل الأول، ويعمل لأجلها كل ما في وسعه؛ لأنه إذا

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢٥).



تقررت العقيدة الصحيحة في النفوس يسهل تحقيق كل شيء، فالتغيير الجذري تظهر حقيقته بعد تحقيق عقيدة التوحيد الفعالة المؤثرة(١).

فلقد مكث ﷺ ثلاثة عشر عاماً من دعوته يرسخ مفهوم التوحيد ويجذره في نفوس المسلمين، لذا كان يحرص عليه السلام على أن يكون أول ما يلقن الطفل بعد ولادته (التوحيد) شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، فقد ثبت عنه عليه السلام أنه (أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)(٢).

وهذا التوحيد هو الذي يخلق خلقا جديدًا، فيصوغه في قالب توحيدي يبرز صورة المؤمن الحق، الذي أطاع الله مخلصا له الدين، فأخضع سلوكه لمرضاة ربه مستسلمًا راضيًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. فلا اختيار له في تصرف إزاء أمر الله وأمر رسوله ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

هذا التوحيد هو الذي يهذب السلوك، ويقيم قواعد العدل، ويحرس الحقوق، ويقضي على الفوضى والفساد والشر، ويدفع أهله للإتقان والإبداع، ويربط بين قلوب معتنقيه برباط المحبة والتراحم، وهو رباط لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الجوار أو المصالح المشتركة.

---

(١) العقيدة الإسلامية: دراسة الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية عن دار بريل في لايدن (ايسيسكو)، (ص٩٧، ٩٨)، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

(٢) رواه أبو داود في سننه، برقم (٥١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود، برقم (٤٢٥٨).



وما ساد التوحيد في أمة واستيقظت مشاعرها عليه إلا وساد فيها الأمن النفسي في حياة الفرد والأمن الجماعي في حياة المجتمع، وإذا فقدت أمة هذا التوحيد دب فيها الفساد وأهدرت القيم، وأصبح أمرها فوضىٰ. هذا هو واقع الحياة اليوم، في كثير من المجتمعات.

*** مشكلة البحث:**

أن أي منهج في عالم الأفكار سيبقىٰ حبيس الصدور وأسير السطور مالم يترجم إلىٰ نموذج عملي علىٰ أرض الواقع لتدبّ به الحياة وينسلخ عن عالم المثال والتنظير، فالتجربة العملية هي التي تشهد لهذا المنهج أو عليه وتكشف اللثام عن ثغراته وإضاءاته.

فمن مخادعة الذات أن نسير خلف فتات النظريات الغريبة والتسليم المطلق بها - في أغلب الأحيان ينسق بعضها بعضاً - ونغفل تجربة النموذج الأمثل لبناء الشخصيات الإبداعية بالمنهجية النبوية المؤيدة بالوحي، فلابدّ من استدعاء المنهج النبوي التربوي واستبطانه وفهمه الدقيق لتوظيفه عملياً، لا لنعتز به ونحتمي به من هذا الوهن والإنهاك الحضاري، ولا لندلل علىٰ عظمة الإسلام وإبداعه بالشواهد العلمية فحسب، وإن كان لابد من ذلك؛ ولكن لنقدم نموذجا راشداً للعالم أجمع (إبداع مسلمين) لتقود الأمة دورها المنوط بها في قلب العصر (المشروع الحضاري الإسلامي العالمي) المرتقب المؤسس علىٰ عقيدة التوحيد.

فقد شهد لعظمة رائد هذا المنهج النبوي وقائده ونموذجه الحي، القاصي والداني، والمسلم وغير المسلم، فقد اختار (مايكل هارت)[1] اسم محمد ﷺ أعظم

(١) مايكل هارت (Michael H. Hart) ولد عام ١٩٣٢م، يهودي أمريكي، فيزيائي فلكي مؤلف،=



العظماء في تاريخ البشرية، وقد دلَّ هذا علىٰ دقة تحليل الباحث إلىٰ درجة تثير التعجب والإعجاب، حيث وقع مقياسه للعظمة درجة التأثر الذي أحدثه في العالم[1].

إنه نقل قومه من التوحيد بالأصنام التي تفسد الأذواق والعقول وتسلب الذوق والجمال إلىٰ التوحيد بالله، ونقل العالم كله من ركود إلىٰ حركة، ومن فوضىٰ إلىٰ نظام، ومن مهانة حيوانية إلىٰ كرامة إنسانية، ولم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات[2].

*** هدف البحث:**

بيان أثر التوحيد بأنواعه الثلاثة علىٰ بناء الشخصية الإبداعية المتقنة.

*** الدراسات السابقة:**

فإن الدراسات التي تتحدث عن الإبداع والإتقان فهي كثيرة سواء وفق التصور

=عضو الجمعية الفلكية الأمريكية، وأحد العلماء المعتمدين في الفيزياء التطبيقية، ولكن اشتهر بعد تأليفه كتاب الخالدون المئة؛ حيث أثار ضجة بتصنيفه نبينا محمد ﷺ في المرتبة الأولىٰ لأكثر الأشخاص المؤثرين في التاريخ، وبين أن سبب ذلك أنه وجده الشخص الوحيد الناجح في التأثير في الجانبين الديني والعلماني، والكتاب يضم ٥٧٣ صفحة، وغني بالصور الضوئية والفهارس، واسمه الكامل بالانجليزية:

(The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History)

وترجمتها: (المائة: تصنيف لأعظم الأشخاص نفوذا في التاريخ)، ينظر: التعريف والنقد: موضوعات عربية وإسلامية في الدراسات التاريخية والتربوية والأدبية، مراجعة كتاب أهم مائة شخصية في تاريخ البشرية لمايكل هارت، د. صفاء خلوصي، (ص١٦٠):

https://peoplepill.com/people/michael-h-hart

(١) رسل الله، مجمع عظمات البشرية، مصطفىٰ الزرقاء، عظمة محمد حاتم (ص٣٨).

(٢) عبقرية محمد، عباس محمود العقاد (ص١٢ -١٣).



الإسلامي أو الغربي، ولكني لم اطلع علىٰ دراسة تبين أثر عقيدة التوحيد علىٰ وجه الخصوص وتأثيرها في تكوين الشخصية المتقنة والمبدعة ولعل هذه الإضافة العلمية في هذا البحث الموجز والتي يسمح به النشر في المجلات العلمية وإن كان حق البحث التوسع والتفصيل في كتاب مستقل، ومافي هذا البحث إنما هو علىٰ سبيل الاختصار والإجمال.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلىٰ مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، كما يلي:

- **مقدمة:** وفيها أهمية البحث، ومشكلته، وهدفه، والدراسات السابقة فيه، وخطته.
- **المبحث الأول:** توحيد الربوبية وأثره علىٰ الإتقان والإبداع.
- **المبحث الثاني:** توحيد الألوهية وأثره في إتقان العمل والإبداع.
- **المبحث الثالث:** الإيمان بأسماء الله وصفاته وأثره في الإتقان والإبداع.
- **الخاتمة:** وفيها النتائج والتوصيات.
- **فهرس المصادر والمراجع.**

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله ﷻ وتقدست أسماؤه وصفاته علىٰ نعمه العظيمة، ومنها نعمة إتمام هذا البحث، فما قدرته حق قدره، وأنىٰ لضعيف مثلي أن يقف علىٰ ساحل توحيده، فاللهم عذراً ثم عذراً بعد عذر علىٰ جرأتي وسوء أدبي وتقصيري في حق توحيدك: اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ! أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي، إلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟

إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَك الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِك[1].

يا من ألوذ به فيما أؤمله * ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره * ولا يهيضون عظماً أنت جابره[2]

نسأل الله تعالىٰ أن يحشرنا في زمرة الموحدين، وأن يحيينا علىٰ توحيده الخالص، ويميتنا عليه، حتىٰ نلقاه وهو راض عنا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ إمام الموحدين، وقدوة المتقنين والمبدعين، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

***

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٧٣) برقم (١٨١)، وفي الدعاء (ص٣١٥)، برقم (١٠٣٦)، وإسناده ضعيف، لعنعنة محمد بن إسحاق، وهو «مدلس مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم»، انظر: طبقات المدلسين، ابن حجر (ص٥١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٩٣٣).

(٢) البيتان للمتنبي من قصيدة مطلعها: «حاشىٰ الرقيب فخانته ضمائره»، التبيان في شرح الديوان: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ت: مصطفىٰ السقا ورفاقه (٣/ ١١٥).



المبحث الأول

توحيد الربوبية وأثره على الإتقان والإبداع

التوحيد في اللغة تفعيل من وحد أي: «المنفرد...، والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية»[1].

يقول الأزهري: «الوحد المنفرد...، والوحدة الانفراد...، قال: والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد»[2].

فالواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. ومن ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثل[3].

وتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، أو بعبارة أخرى هو: الإقرار الجازم بأن الله تعالى ربّ كل شيء ومليكه، وخالقه، ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته.

ومنهم من عرفه بأنه: الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لكل شيء وحده لا شريك له[4].

---

(١) العين (٣/ ٢٨٠)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، (ص٥٧)، الصحاح للجوهري (٢/ ٥٤٧).

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ١٢٤)، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٩٣).

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠).

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (ربب)، (١/ ٣٩٩)، تفسير السمعاني (١/ ١٦١)، جامع البيان=



وهو يشتمل علىٰ ما يلي:

١- الإيمان بوجود الله تعالىٰ.

٢- الإقرار بأن الله تعالىٰ خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه المحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر علىٰ ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك.

وقد تكاثرت الأدلة في القرآن والسنة في إثبات الربوبية لله تعالىٰ، فكل نص ورد فيه اسم (الرب) أو ذكر فيه خصيصة من خصائص الربوبية، كالخلق، والرزق، والملك، والتقدير، والتدبير، وغيرها فهو من أدلة الربوبية، كقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]، وكقوله سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وكقوله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [المؤمنون:٨٨]، والملكوت: الملك.

وقد أمر الله العباد بالنظر والتفكر في آيات الله الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية، ليستدلوا بها علىٰ ربوبيته ﷻ. ويعرفوا الله حق مع معرفته ويقدروه حق قدره فتكون لهذه العقيدة أثرها البالغ في حياتهم

لقد بين القرآن الكريم أن الله ﷻ قد أحسن خلق الأشياء وأحكمها وأتقن صنعها فبعد أن أخبرنا ﷻ بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة:٦ - ٧].

=للطبري (١٤/ ٢١٣)، بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٤٧٩)، مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٣).



فهذا النص الكريم يبين أن الله ﷻ قد أتقن وأحكم خلق مخلوقاته، وذلك من حيث الصورة والشكل وجميع جوانب التكوين التي تحقق غاية وجود ذلك الشيء المخلوق؛ لأن الحسن ملائمة أجزاء الشيء بعضها لبعض والمجموع للغاية التي أعد لها.

قال صاحب «نظم الدرر»: «لمـّا كان الإحسان عامـًا وصفه بقوله: (خَلَقَه)[1]، فبين أنّ ذلك بالإتقان والإحكام، كما فسره ابن عباس رضي الله عنه من حيث التصوير وشق المشاعر وتهيئة المدارك وإفاضة المعاني مع المفاوتة في جميع ذلك، وعبر بالحسن؛ لأن ما كان علىٰ وجه الحكمة كان حسنـًا، وإن رآه الجاهل القاصر قبيحـًا»[2].

ولما كانت حقيقة الحسن ملائمة أجزاء الشيء بعضها لبعض، والمجموع للغرض، والغاية الخارجة منه، وما من شيء إلا وقد خلقه الله تعالىٰ في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض، والمجموع من وجوده مجهز بما يلائمه ويؤهله لأداء دوره في

(١) (خلقه) بفتح اللام: وهي قراءة نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وقرأ ابن كثير، وأبو عمر، وابن عمر (خلقه) بسكون اللام.
وقد اختلف المفسرون في معنىٰ ذلك، فقال بعضهم: أتقن كل شيء وأحكمه، وقال آخرون: حسن خلق كل شيء وقال آخرون: معنىٰ ذلك ألهم كل شيء خلقه، قال الإمام الطبري: والصواب من ذلك أن معنىٰ (خلقه) بالفتح أتقنه وأحكمه؛ لأن لا معنىٰ لذلك إلا أحد وجهين: إما هذا المعنىٰ أو معنىٰ الجمال والحسن، فلما كان في خلقه مالا يشك في قبحه علم أنه لم يعن به هذا المعنىٰ ولكن معناه أحكمه وأتقنه، أما إذا كان خلقه بسكون اللام فيكون المعنىٰ: أعلم وألهم كل شيء. انظر: جامع البيان، للطبري (١٢/ ٦٣-٦٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٦/ ٥٢).

الوجود علىٰ أكمل وجه، كان كل مخلوق حسن في نفسه لا أتم ولا أكمل منه.

قال أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾[السجدة:٧]: «هذا أبلغ في الامتنان؛ لأنه يقتضي أن كل شيء خلقه حسن، ومعناه: أنه وضع كل شيء في موضعه؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب علىٰ ما تقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة، وإن تفاوتت في الحُسْن، وحسنها من جهة المقصد الذي أريد بها، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليست القردة حسنة ولكنها متقنة محكمة»[١].

والناظر إلىٰ الأشياء يرىٰ أنها علىٰ ما تقتضيه الحكمة، فصلابة الأرض مثلاً للنبات والسير عليها، ورقة الهواء لسهولة التنفس، وسيلان الماء لنقدر عليه في كل موضع، وحركة النار إلىٰ أعلىٰ؛ لأنها لو كانت مثل الماء تتحرك يميناً وشمالاً لاحترق كل شيء قابل للاحتراق فخلقت كذلك حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق[٢].

ولو كانت النار كامنة لا تظهر أبداً لفاتت المصالح المترتبة علىٰ وجودها، فاقتضت حكمة الله تعالىٰ أن جعلها مخزونة في الأجسام من الحطب ونحوه، يخرجها الإنسان متىٰ شاء[٣].

فالله تعالىٰ خلق المخلوقات كلها، فأتقن صنعها، قال تعالىٰ: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾[النمل:٨٨]، وسوّاها في أحسن الهيئات التي تتناسب مع الغاية التي أعدّ

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان (٧/ ١٩٤).

(٢) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي (٩/ ١٤١)، التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٢١٥)، قصة الإيمان، نديم الجسر، (ص٣٦٠).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/ ٢١٥).

لها كل مخلوق، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:٢ – ٣]؛ أي: «خلق كل شيء فسوّاه ولم يأت به متفاوتـاً، بل متناسباً علىٰ إحكام وإتقان دلالة علىٰ أنه صادر عن عالم حكيم»(١).

وإحسانه تعالىٰ يتجلىٰ في كل شيء في هذا الوجود، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة:٧]، فالله هو الذي تراه العين ويراه القلب في أشكال الأشياء ووظائفها وطبيعتها منفردة وفي تناسقها، وفي هيئاتها وأحوالها ونشاطها وحركاتها وفي كل ما يتعلق بوصف الحُسْن والإحسان من قريب أو بعيد. سبحانه! هذه صنعته في كل شيء يتجلىٰ فيه الإحسان والإتقان فلا تجاوز، ولا قصور، ولا زيادة عن حد الإحسان.

كل شيء وكل خلق مصنوع ليؤدي دوره المقسوم به في رواية الوجود، معد لأداء هذا الدور إعداداً دقيقـاً، مزوداً بالاستعدادات والخصائص التي تؤهله لدوره تمام التأهيل وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك:٣ – ٤]، ويقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨ – ٣٩].

وأخبر الله ﷻ في كتابه الكريم أنه خلق الإنسان في أحسن هيئة وأكمل صورة، بل أقسم الله تعالىٰ علىٰ أنه خلق الإنسان في أحسن ما يكون من التقويم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:١-٤].

---

(١) البحر المحيط (٨/ ٤٥٨)، وانظر: الزمخشري، الكشاف (٤/ ٧٣٩).



في هذا النص الكريم يقسم الله تعالىٰ بهذه المذكورة، التين والزيتون، وطور سيناء، والبلد الأمين[1]، علىٰ أنه تعالىٰ خلق الإنسان في أحسن صورة وأجمل شكل[2].

والتقويم: هو جعل الشيء علىٰ ما ينبغي أن يكون في التأليف والتعديل[3]، يقال: قام قَوْمـًا وقياما وقوْمه: انتصب واقفا، وقام الأمر: اعتدل، واستقام الشيء: اعتدل واستوىٰ[4].

وحُسْن التقويم: «أكمله وأليقه بنوع الإنسان، وهو التقويم الخاص به لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات، ويتضح ذلك في تعديل القوىٰ الظاهرة والباطنة بحيث لا تكون إحدىٰ قواه موقعة له فيما يفسده، ولا يعوق بعض قواه البعض الآخر عن أداء وظيفته»[5].

وتخصيص الإنسان بحُسْن التقويم والتعديل فيه فضل عناية بهذا المخلوق، ومزيد من التكريم له، وهذه العناية تشير إلىٰ أن له شأنـًا عند الله، ووزنـًا في نظام الوجود، وتتجلىٰ هذه العناية في تكوينه الجسماني الدقيق والعقلي الفريد والروحي العجيب.

---

(١) الطور: هو الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ عليه السلام، والبلد الأمين: مكة المكرمة، وقال بعضهم: هي محال ثلاثة بعث الله في كل منها نبيا من أولي العزم، الأول: بيت المقدس، والثاني طور سيناء، والثالث: مكة المكرمة بعث فيها محمدًا صلى الله عليه وسلم. انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ٥٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٥٢٩)، التفسير المنير، وهبة الزحيلي (٥/ ٢٧٠).

(٣) بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية (٥/ ٣٧٠)، جمع وتوثيق: يسرىٰ السيد محمد، السعودية.

(٤) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٩٧-٧٩٨).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ٤٢٤).



وهذا من تكريم الله للإنسان قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٠]، وبهذا يظهر أن الإنسان أحسن المخلوقات علىٰ وجه الأرض خلقه الله تعالىٰ بإتقان وإحكام في أحسن الهيئات وأكمل الصور، متناسب الأعضاء معتدل القامة، مزينا بالعقل متميزاً بالعلم والنطق والتدبر والحكمة، يأكل ويتناول بيده وغيره منكب علىٰ وجهه ويتناول بفيه[1].

وقد نص القرآن الكريم صراحة علىٰ أن الله تعالىٰ صوّر الإنسان في أحسن صورة، فقال تعالىٰ: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر:٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن:٣]، أي: «صوَّركم أحسن تصوير»[2]، وجعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه صورة، ومما يدل علىٰ ذلك أن الإنسان لا يتمنىٰ أن تكون صورته علىٰ غير صورة البشر[3]، «ولا يقدح في حُسْنِه كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلىٰ بعض؛ لأن الحُسْن علىٰ مراتب بعضها فوق بعض»[4].

مما تقدم يتبين أن حكمة خلق الإنسان في أحسن تقويم تتناسب مع الغاية التي خلق لأجلها، وهي الخلافة في الأرض.

فتأمل أيها الإنسان كيف خلقك الله في بطن أمّك أول ما خلقك من نطفة من ماء

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٧٧-٧٨).

(٢) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، أبو السعود (٧/ ٢٨٣)، (٨/ ٢٥٥).

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٥٤٨)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٨/ ٨٨-٨٩).

(٤) روح البيان، إسماعيل حقي البرسوي (ت١١٣٧هـ) (١/ ٦)، وانظر: الكشاف، الزمخشري (٤/ ٥٤٨).

مهين، بلغ من المهانة والضعف حداً كبيراً، ثم سوّاك فجعل هذه النطفة إنسانـًا سالم الأعضاء تسمع وتبصر وتعقل، وجعل قامتك معتدلة وأجزاءك متلائمة، وتفضل عليك بأن جعلك علىٰ هذه الصورة الكاملة التي هي أعجب الصور وأتقنها وأحكمها[1].

وتذكَّرْ قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧].

وتيقَّنْ أن الله تعالىٰ يحاسب علىٰ الأعمال، لا علىٰ المظاهر والأشكال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم ولا إلىٰ صوركم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم»[2].

والإنسان الموحد بالإضافة لتسخير الكون له شرع الله له من الأحكام والشرائع ما يوجه هذا التسخير للإبداع في العمل وإتقانه وفق منهج الله، وقيامًا بالأمانة التي تحملها الإنسان من بين سائر المخلوقات.

يقول السيد رشيد رضا رحمه الله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]: «وأما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفًا، كما قال في كتابه: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]، وخلقه جاهلًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨]، ولكنه علىٰ ضعفه وجهله يتصرف في الأقوياء، ومع جهله في نشأته يَعْلم جميع الأسماء، يولد وليس له من

(١) انظر: تأويل القرآن، محمد أمين شيخو (ت١٨٩٠هـ)، (ص٣٦٢ - ٣٦٣)، صفوة التفاسير، للصابوني (٢/ ٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٦٤).



الإلهام إلا الصراخ بالبكاء، ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة إلىٰ غيره من الحيوان، ويعطىٰ قوةً أخرىٰ تتصرف بشعوره وإحساسه تصرفًا يكون له به السلطان علىٰ هذه الكائنات، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة وهي التي يسمونها العقل، حتىٰ كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان، وسيكون له من ذلك ما لا يصل إليه التقدير والحسبان.

فالإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد، ولا محدود الرغائب، ولا محدود العلم، ولا محدود العمل، فهو علىٰ ضعف أفراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفًا لا حدّ له بإذن الله وتصريفه، وكما أعطاه الله تعالىٰ هذه المواهب والأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليقته، وملكه الأرض وسخر له عوالمها، أعطاه أحكامًا وشرائع، حدّ فيها لأعماله وأخلاقه حدًّا يحول دون بغي أفراده وطوائفه بعضهم علىٰ بعضٍ، فهي تساعده علىٰ بلوغ كماله؛ لأنها مرشدٌ ومُربّ للعقل الذي كان له تلك المزايا؛ فلهذا كله جعله خليفته في الأرض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة»[1].

وهذه الأحكام والشرائع هي الأمانة التي كلف الله الإنسان بها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢].

ويكون صون الأمانة بتعهدها وتغذيتها باستمرار بنفحات الرحمن، فقلب الإنسان، لا يطمئن إلا إلىٰ رضاء خالقه، ويحتاج باستمرار إلىٰ الرياضة الفكرية والنظر في آلاء الله تعالىٰ، فإذا أهمله صاحبه مات وانطفأ نوره، وامتلأ بدلًا عن ذلك

(١) تفسير المنار (٢١٦) بتصرف واختصار.



بالشهوات وما لا يرضىٰ الله عنه.

وبعد أن اختار الإنسان حمل هذه الأمانة ورضيها ربه له لما يعلمه من قدرته علىٰ حملها، أخذ عليه العهد بأن يصونها، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف:١٧٢].

إن تنشئة المسلم علىٰ هذا الاعتقاد، يُربي المسلم علىٰ الجديّة، فالكون لله أقيم علىٰ أساس الحق، ووجد لهدفٍ معين إلىٰ أجلٍ مسمىٰ، وليس العبث واللهو من شأنه ﷻ. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٦ - ١٧].

ولقد ربىٰ القرآن عقل المسلم علىٰ أن تكرار حوادث الكون حسب سنن سنها الله، وهذا هو المبدأ الذي بُنِيَت عليه اليوم جميع القوانين العلمية، ثم إن سنن الكون وجميع حوادثه وظواهره قد خلقها الله، وسيّرها بقدر معلوم، ونظام دقيق مرسوم.

والنظام في الأشياء هو تركيبها علىٰ مقادير وكميات محددة، والائتلاف بينها في علاقات جارية علىٰ سنن ثابتة منتظمة وفق تقدير مسبق، وهو في التعبير القرآني: القَدَر والتقدير، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ﴾ [سبأ:١١]، فقَدَر الأشياءَ وقدَّرها معناه: أن يجعلها علىٰ مقدار مخصوص، ووجه مخصوص، حسبما اقتضت الحكمة[1].

ونقيض النظام هو الفوضىٰ التي تجري بها الأمور علىٰ غير قاعدة منضبطة،

(١) المفردات، الراغب الأصبهاني، (ص٦٥٨).

ولا حكمة مرعية، وهي في التعبير القرآني: التفاوت، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [الملك:٣][1].

وهذا النظام جزء من الإتقان والإحكام، وهو أمر يحبه الله سبحانه من العبد حين يعمل عملاً ما، فقد قال سبحانه: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقِنَه)[2].

وإتقان الموحد لعمله وإبداعه فيه يتوافق مع ما سنه الله تعالىٰ وقدره لكونه وخلقه، يقول ابن القيم رحمه الله: «فليس في الكائنات شيء غير الله عز وجل يسكن القلب إليه، ويطمئن به، ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته، وهو بمنزلته أكل الطعام المسموم اللذيذ، وكما أن السموات والأرض ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ [الأنبياء:٢٢]، فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالىٰ فسد فسادًا لا يرجىٰ صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالىٰ وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه...»[3].

نعم كما أن هذا الكون لا يصلح بوجود إلهين اثنين، فكذلك قلب العبد، وإن الموحد أولىٰ الخلائق بإتقان عمله، والإبداع فيه إذا أخذ وامتثل بسنن الله الكونية والشرعية.

---

(١) الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر، (ص٨٨).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده، برقم (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط، برقم (٨٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (١١١٣)، وحسنه في صحيح الجامع، برقم (١٨٨٠).

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (١/ ٣٠).

إن سُـنة الأسـباب عامـة في الخلـق والكـون، والنـاس تجاهها متسـاوون، والمسلمون أُمروا كغيرهم بالأخذ بها، والسير علىٰ منوالها؛ لأن الله ﷻ أراد أن يُعلِّم الأمة المسلمة الناشئة أن تعيش بين الأمم - كما يعيشون - تأخذ بالأسباب وتتخذ الوسائل إلىٰ النتائج، ثم تتميز بعد ذلك علىٰ سائر الأمم بمنهجها الذي تُتبعه إخلاصها لربها، وإتقانها لأعمالها، فتضفي منه إبداعًا غير قليل علىٰ علاقتها بأبناء جنسها، وعلىٰ علاقتها بالكون والحياة علىٰ السواء.

وعقيدة التوحيد تقتضي أن يأخذ المسلم بالأسباب التي خلقها الله في الكون مرتبطة بالمسببات، ولكنه في ذات الوقت لا يتوجه إلىٰ هذه الأسباب بالعبادة بحيث يعتقد فيها أنها مستقلة بالفعل.

ومن هذه المبادئ التي استوحاها علماء الإسلام عن قانون السببية اشتقت أوروبا مبادئ التفكير العلمي، وأوجدت قوانين العلم الحديث، والتي علىٰ أساسها تكوّن الإبداع، ونَمَا وازدهر.

وحين يقرّ الإنسان بتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته للكون، وأنه ربّ كل شيء وخالقه ورازقه ومليكه، وأنه يسيّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلىٰ أكبر مجرّة، فنرىٰ الموحِّد يُحسن التعامل مع السنن الكونية، ويَنْظر إلىٰ الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير.





المبحث الثاني
توحيد الألوهية وأثره في إتقان العمل والإبداع

توحيد الألوهية: الألوهية لغة هي العبادة، والإله هو المعبود، وفي الاصطلاح إفراد الله بالعبادة، ويسمىٰ باعتبار إضافته إلىٰ الله تعالىٰ بـ(توحيد الألوهية)، ويسمىٰ باعتبار إضافته إلىٰ الخلق بـ(توحيد العبادة)، و(توحيد العبودية)، و(توحيد الله بأفعال العباد)، و(توحيد العمل)، و(توحيد القصد)، و(توحيد الإرادة والطلب)؛ لأنه مبني علىٰ إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالىٰ[1].

وهذا التوحيد من أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ومن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ومن أجله قامت الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهل البدع والخرافات، ومن أجله جردت سيوف الجهاد في سبيل الله، وهو أول الدين وآخره، بل هو حقيقة دين الإسلام، وهو يتضمن أنواع التوحيد.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، فإن من عَبَدَ الله تعالىٰ وحده، وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة، دل ذلك علىٰ أنه مؤمن

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة (أله) (١٣/ ٤٦٧)، جامع البيان للطبري (١/ ١٢٣) وما بعدها.



بربوبيته وبأسمائه وصفاته؛ لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالىٰ وحده هو المتفضل عليه وعلىٰ جميع عباده بالخلق، والرزق، والتدبير، وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالىٰ له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، التي تدل علىٰ أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

ومع أهمية هذا التوحيد فقد جحده أكثر الخلق، فأنكروا أن يكون الله تعالىٰ هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وعبدوا غيره معه.

قال العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الصنعاني: «اعلم أن الله تعالىٰ بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلىٰ آخرهم يدعون العباد إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، لا إلىٰ إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك، كما قررناه وكررناه، ولذا قالوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الأعراف:٧٠]، أي: لنفرده بالعبادة، ونخصه بها من دون آلهتنا؟... فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أنداداً»[١].

والمؤمن يوحِّد الله في ألوهيته، فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالىٰ، والعبادات في الإسلام علىٰ تنوعها تجتمع علىٰ هدف واحد، هو العبودية لله وحده، ووصْل الإنسان بخالقه صلةً دائمة.

تُعلّمنا العباداتُ الوعيَ الفكري الدائم، وتُزود الإنسانَ المؤمنَ، الذي تربّىٰ فيه الإبداع، بشُحنات متتالية من القوة المستمدة من قوة الله، والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله، والأمل بالمستقبل المستمد من الأمل بتأييد الله ونصْره ورجاء ثواب الجنة، وبالوعي والنور المستمد من نور الله، هي شحنات للمسلم تدفعه إلىٰ الأمام نحو

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الصنعاني، (ص٥٥).



المعالي، وتجعله مبدعـاً وتَهِبُه القدرة المستمرة علىٰ الدأب والجهد وبذل كل الطاقة واستفراغ الوسع.

والإسلام بعبادته يحرص أشد الحرص علىٰ استمرار هذه الشُحنة الحية التي تملأ القلب والنفس والوجدان، وتضيء الطريق في أصعب الظروف وأحلكها.

وإن شعور الموحد أن لسعيه وكدحه وجهة وغاية واحدة، هي وجه الله وابتغاء مرضاته وحده، وأن السعي والكدح يتم وفق شريعة محددة شاملة واضحة، جاءت من معبوده الذي أسلم له وجهه، وتعلقت به غايته، إن لذلك كله آثاراً عظيمة علىٰ إبداعه وإتقانه من أهمها:

أولاً: إحساسه أن لحياته معنىٰ وقيمة، ولعيشه طعماً، وأنه لم يخلق عبثاً، ولن يترك سدىٰ، فهو لا يعيش في ظلام، ولا يخبط خبط عشواء، بل يسير علىٰ هدىٰ من ربه وبينة من أمره، واستبانة لمصيره، بعد أن عرف الله وأقر بالوحدانية(١).

فالله الذي خلق العبد ويدبر أمره، منه وحده يستمد منهجه، وهو الذي يميته ويبعثه، ويغفر ذنوبه ويرحمه، وبيده وحده مصيره يوم القيامة.

قال تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء:٧٧ - ٨٢].

ولله وحده سعيه وكدحه وعمله، ومنه وحده يرجو الجزاء عليه.

---

(١) انظر: سلسلة دراسات إسلامية، النفس المطمئنة، د. عبدالرحمن مرسي، (ص٢٠)، القاهرة، مطبعة وهبة، ط١، ١٤٠٣هـ.



قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣].

قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢].

فلله كم يشعر الإنسان بالبهجة والغبطة والرضىٰ، وهو يشعر أن لوجوده معنىٰ سامياً وغرضاً نبيلاً، ويطمع في ثمرة طيبة لهذا السعي في الدنيا والآخرة!

ثانياً: سلامة نفس الموحد من التمزق والصراع الداخلي، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتىٰ الاتجاهات[١].

«ولقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة، هي إرضاء الله تعالىٰ، وركز همومه في هم واحد هو العمل علىٰ ما يرضيه سبحانه، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها ووجهتها في الحياة...فتعرف من أين تبدأ؟ إلىٰ أين تسير؟ وفي أي اتجاه تمضي؟

ولا يُشقِي الإنسان شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته...فهو حيناً يشرق، وحيناً يغرب، وتارة يتجه يميناً، وطوراً يتجه يساراً، ومرة يُرضِي هذا، فيغضب ذلك، وهو في كلا الحالين حائر بين رضي هذا، وغضب ذاك»[٢].

وقد أشار الله إلىٰ هذا الأثر الذي يحدثه التوحيد في نفس الموحد، وضده من الشرك وما ينتج عنه فقال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

---

(١) انظر: النفس المطمئنة، د. عبدالحميد مرسي، (ص٢١).

(٢) المصدر السابق، (ص٢١).

ففي هذه الآية ضرب الله مثلاً للكافر الذي يعبد آلهة شتىٰ، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد(1).

وإن معرفة الفرد المسلم بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة، وأنه مخلوق ليعبد الله، من شأنها ولا شك أن ترفعه إلىٰ هذا الأفق الوضيء، ترفع شعوره وضميره، وترفع نشاطه وعمله، وتنظف وسائله وأدواته. فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله، وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه، وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج الله فيها(2)، «والمسلم في حياته كلها يستشعر أنه يؤدي رسالة الله تعالىٰ بتحقيق شرعه في الأرض: فعقيدته تدفعه إلىٰ العمل الجاد المخلص؛ لأنه يعلم أنه مأمور بذلك دينًا، وأنه مثاب علىٰ كل ما يقوم به من عمل جلّ ذلك العمل أم صغر»(3).

وإذا كان هذا كله كذلك، فأولىٰ به ألا يغدر ولا يفجر، وأولىٰ به ألا يغش ولا يخدع، وأولىٰ به ألا يطغىٰ ولا يتجبر، وأولىٰ به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة...فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة..ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع، وألا يستبد به القلق، فهو يعبد في كل خطوة، وهو يحقق غاية وجوده في كل خطرة، وهو يرتقي صعدا إلىٰ الله في كل نشاط.

إن الإيمان أعظم باعث من بواعث الإبداع، وأكبر محفّز من محفّزات التفكير الإبداعي؛ حين يقرّ الإنسان بتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته للكون، وأنه ربّ كل شيء

---

(١) انظر: جامع البيان، للطبري (٢٣/ ٢١٣).

(٢) الخلاصة في فقه الأقليات، إعداد: علي بن نايف الشحود، (ص١٥).

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (ص٣٣).



وخالقه ورازقه ومليكه، وأنه يسيّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلىٰ أكبر مجرّة، فنرىٰ الموحّد يُحسن التعامل مع السنن الكونية، ويَنْظر إلىٰ الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير.

إن تنشئة المسلم علىٰ هذا الاعتقاد، يُربي المسلم علىٰ الجديّة، فالكون لله أقيم علىٰ أساس الحق، ووجد لهدفٍ معين إلىٰ أجلٍ مسمىٰ، وليس العبث واللهو من شأنه ﷻ. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٦ – ١٧].

ومن هذه المبادئ التي استوحاها علماء الإسلام اشتقت أوروبا مبادئ التفكير العلمي، وأوجدت قوانين العلم الحديث، والتي علىٰ أساسها تكوّن الإبداع، ونما وازدهر.

وتأمل وصية رسول الله ﷺ لغلام من الغلمان – هو ابن عباس – يهيؤه أن يكون مبدعًا صاحب تفكير خلاّق وقد كان، فتأمل كيف يغرس فيه هذا العامل – عامل الإيمان والتوحيد – المحفّز فيقول له: (يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك؛ إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحف)[1].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده، برقم (٢٨٠٣)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم (٧٩٥٧).



وهنا يتخلص المؤمن، الذي نسعىٰ إلىٰ تربيته التربية الإبداعية، من أخطر العوائق التي تواجه الإبداع وتخنقه، ألا وهو: العبودية لغير الله.

إن القيود علىٰ الفكر والاعتقاد تحطم مسألة الإبداع، وتَحُول دون التفكير العلمي الخلاّق، فيبقىٰ فكر الإنسان أسيرَ أُطُر الخرافات والخزعبلات، وتقديس أشكال وقوىٰ ومخلوقات، يعتقد فيها الإنسان النفع والضر، ويضفي عليها هالةً من القداسة، يعبد الشمس أو القمر، أو النور أو الظلمة، أو يعبد حجراً أو شجراً، يدعوه ويرجوه، فيتحطم بذلك كلُّ طموحٍ لديه، ويقضي علىٰ حرية التفكير والإبداع، إن الإيمان بالغيب في العقيدة الإسلامية يعدّ أكبر مفجّر للطاقات الإبداعية.

وإن عقيدة التوحيد التي منحت المسلم الرضىٰ بالله ربـًا ومعبوداً عليه يتوكل وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد وإليه يحتكم، جعلت منه معتصمـًا بالله مهتديـًا إلىٰ صراطه المستقيم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١].

والاعتصام بالله بإفراده سبحانه بالعبودية والتوكل والدعاء والاستعانة، كما أنه يجلب للقلب الاستقرار والطمأنينة – كما تقدم – فهو أيضـًا حصن منيع يحمي الله به العبد من الأخطار جميعـًا الخارجية والداخلية، المادية والفكرية التي تستهدف إفساد دينه، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:٧٨].

قال ابن القيم ﵀ مبينـًا ثمرة الاعتصام بالله: «هو الدافع عن العبد – والله يدافع عن الذين آمنوا – فيدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر

نفسه ويدفع موجب أسباب الشر بعد انعقادها، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه»[1].

والإنسان الموحد بالإضافة لتسخير الكون له شرع الله له من الأحكام والشرائع ما يوجه هذا التسخير للإبداع في العمل وإتقانه وفق منهج الله، وقيامًا بالأمانة التي تحملها الإنسان من بين سائر المخلوقات.

يقول السيد رشيد رضا ﷺ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]: «وأما الإنسان فقد خلقه الله ضعيفًا، كما قال في كتابه: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]، وخلقه جاهلًا كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨]، ولكنه علىٰ ضعفه وجهله يتصرف في الأقوياء، ومع جهله في نشأته يعلم جميع الأسماء، يولد وليس له من الإلهام إلا الصراخ بالبكاء، ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة إلىٰ غيره من الحيوان، ويعطىٰ قوةً أخرىٰ تتصرف بشعوره وإحساسه تصرفًا يكون له به السلطان علىٰ هذه الكائنات، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة، وهي التي يسمونها العقل، حتىٰ كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان، وسيكون له من ذلك ما لا يصل إليه التقدير والحسبان.

فالإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد، ولا محدود الرغائب، ولا محدود العلم ولا محدود العمل، فهو علىٰ ضعف أفراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفًا لا حد له بإذن الله وتصريفه، وكما أعطاه الله تعالىٰ هذه المواهب والأحكام الطبيعية ليظهر بها أسرار خليقته، وملكه الأرض وسخر له عوالمها، أعطاه أحكامًا وشرائع،

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٧).

حد فيها لأعماله وأخلاقه حدًا يحول دون بغي أفراده وطوائفه بعضهم على بعضٍ، فهي تساعده على بلوغ كماله؛ لأنها مرشدٌ ومرب للعقل الذي كان له تلك المزايا؛ فلهذا كله جعله خليفته في الأرض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة»[1].

وهذه الأحكام والشرائع هي الأمانة التي كلف الله الإنسان بها، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

والتوحيد يضيء جوانب النفس ويطهرها، وينقي الضمير ويحييه، ويرقق القلب والروح، بينما الشرك حجب كثيفة على القلب والروح، وما يصدر عن القلبين الموحد والمشرك كما يصدر عن الشجرة الطيبة والخبيثة، لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:٢٤ - ٢٦]، قال ابن القيم ﷺ: «فالله سبحانه شبَّه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علوًا، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة في كل وقت بحسب ثباتها في القلب، وإخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها واتصف قلبه بها، وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدقها جوارحه، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى

---

(١) تفسير المنار (٢١٦) بتصرف واختصار.



الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية، طائعة سالكة سبل ربه ذللا، غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا يبتغي القلب سوىٰ معبوده الحق بدلا.

فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب علىٰ هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلىٰ الله كل وقت، فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح إلىٰ الرب تعالىٰ، وهذه الكلمة الطيبة تثمر كلمًا كثيراً طيبًا يقارنه عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر:١٠]، فأخبر سبحانه أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها عملا صالحا كل وقت..»[(١)].

فإذا استقرت عقيدة التوحيد في القلب صلح وصلح سائر الجسد حتىٰ يعم النفع لغيره، وإذا فسد القلب بالشرك فسد سائر الجسد حتىٰ لا يصدر عنه إلا كل خبيث، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ﴾ [الأعراف:٥٨].

يقول ابن القيم ﷺ: «فليس في الكائنات شيء غير الله ﷻ يسكن القلب إليه، ويطمئن به، ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره سبحانه وحصل له به نوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته وهو بمنزلته أكل الطعام المسموم اللذيذ، وكما أن السموات والأرض ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/ ١٣٢ - ١٣٣).



فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالىٰ فسد فسادًا لا يرجىٰ صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالىٰ وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه...»[1].

نعم كما إن هذا الكون لا يصلح بوجود إلهين اثنين، فكذلك قلب العبد، وإن الموحِّد أولىٰ الخلائق بإتقان عمله والإبداع فيه إذا أخد بسنن الله الكونية والشرعية.

إن الموحِّد يقصد في كل أعماله وجه الله ﷻ، وينشد رضاه ورحمته؛ لأنه يعلم أنه: لا إله إلا الله، وأن عقيدة التوحيد تعني ضمن ما تعنيه، توحيد العمل، بحيث تكون غاية المؤمن من كل أعماله واحدة، هي وجه الله سبحانه الذي يستحق وحده أن يتوجه إليه المرء بالعبادة دون سواه، وأن يراعيه وحده دون غيره، وأن يقصد رضاه ولا يحفل بما عدا ذلك رضي الناس عنه أم سخطوا.

فليس يكفي للموحد أن يعبد الله وحسب، بل إنه يضيف إلىٰ ذلك أنه يعبده وحده مخلصًا له الدين، لا شريك له في عبادته. وهذا هو الإخلاص الذي يعبر عن عقيدة التوحيد حين يتمثلها القلب ويعتنقها حقًا.

وقد عبر القرآن الكريم عن الإخلاص بتوحيد العبادة، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، أي: ولا يجعل له شريكًا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلا له شريكًا بعبادته إذا راءىٰ بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره.

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم (١/ ٣٠).

وقد جاء رجل إلىٰ عُبادة بن الصامت ﷺ، فسأله فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد، فقال عبادة: «ليس له شيء، إن الله ﷻ يقول: أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله، لا حاجة لي فيه»[1].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ومعنىٰ الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾، أي: اليهود والنصارىٰ في التوراة والإنجيل، ﴿إلا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، أي: موحّدين لا يعبدون سواه، قال بعضهم: الإخلاص تصفية العمل عن شوائب الكدر.

والنبي ﷺ بيَّن أهمية الإخلاص لله سبحانه، وضرورة ضبط الإنسان لنيته التي تسبق العمل وتحدد مقصده ومصيره، وذلك في الحديث المشهور: (نَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لكل لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عمل عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ١٣٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١)، ومسلم في صحيحه، برقم (١٩٠٧)، عن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٩٨٥).



قال العز بن عبدالسلام ﵀: «الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصا لله وحده لا يريد بها تعظيمًا من الناس ولا توقيرًا، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي، وله رتب: منها أن يفعلها خوفًا من عذاب، ومنها أن يفعلها تعظيمًا لله ومهابة وانقيادا وإجابة، ولا يخطر له عرض من الأعراض، بل يعبد مولاه كأنه يراه، وإذا رآه غابت عنه الأكوان كلها وانقطعت الأعراض بأسرها، وأمر العابد أن يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يقدر علىٰ تقدير نظره إلىٰ الله، فليقدر أن الله ناظر إليه، ومطلع عليه، فإن ذلك يحمله علىٰ الاستحياء منه والخوف والمهابة، وهذا معلوم بالعبادات أن النظر إلىٰ العظماء يوجب مهابتهم وإجلالهم والأدب معهم إلىٰ أقصىٰ الغايات، فما الظن بالنظر إلىٰ رب السموات؟

وكذلك لو قدر إنسان في نفسه أن عظيمًا من العظماء ناظر إليه، ومطلع عليه، لم يتصور لأن يأتي برذيلة، وأنه يتزين له بملابسة كل فضيلة، فسبحان الله ما جمع هذا الحديث من الأدب مع الله في عباداته وطاعاته»[1].

فالإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن بتصفية العمل للهِ عن ملاحظة المخلوقين، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره، وإذا أخلص العبد اجتباه ربه، فأحيىٰ قلبه، وجذبه إليه، وحبَّب إليه الطاعات، وكَرَّه إليه المعاصي، بخلاف القلب الذي لم يخلص، فإن فيه طلبًا وشوقًا وإرادة، تارة إلىٰ الرئاسة، وتارة إلىٰ الدرهم والدينار.

إن أي تغيير شامل ناجح في الدنيا والآخرة لن يتحقق إلا من خلال العقيدة

---

(١) قواعد الأحكام (١/ ١٤٦).

الصحيحة، وهذا هو منهج الإسلام وتجربة قدوتنا ﷺ، حيث أمره الله تعالىٰ أن يثبت عقيدة التوحيد في نفوس الرعيل الأول، ويعمل لأجلها كل ما في وسعه؛ لأنه إذا تقررت العقيدة الصحيحة في النفوس يسهل تحقيق كل شيء، فالتغيير الجذري تظهر حقيقته بعد تحقيق عقيدة التوحيد الفعالة المؤثرة[1].

فلقد مكث ﷺ ثلاثة عشر عامـًا من دعوته يرسخ مفهوم التوحيد ويجذره في نفوس المسلمين، لذا كان يحرص عليه الصلاة والسلام علىٰ أن يكون أول ما يلقن الطفل بعد ولادته (التوحيد) شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه: (أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)[2].

وحيث أن نشوء الألوهيات البشرية مستمر[3]، وهي تعمل باستمرار علىٰ اختلاس العقول الوثنية التي تلد الأصنام المتعاقبة المتطورة كما تتطور الدودة الصغيرة إلىٰ فراشة طائرة، إذا ما صادفت جواً ملائمـًا.

فالعبودية تأخذ أشكالاً وصوراً متعددة فلم يكن هذا البعد غائبـًا في الإشارات النّبوية، فالرسول ﷺ يعلن الرفض لكّل أنواع العبودية لغير الله ابتداءً من الأوثان البشرية، ومروراً بالمعشوقات الحجرية، وانتهاءً بالمعشوقات الخفية كعشق الهوىٰ والمال والمرأة، يقول ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه لما جئت به)[4]، ويقول

---

(١) العقيدة الإسلامية: دراسة الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية عن دار بريل في لايدن (ايسيسكو)، (ص٩٧-٩٨)، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، يسرىٰ محمد أرشيد (ص١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٢)، والهروي في ذم الكلام (٢/ ٤٠)، وابن بطة=



ﷺ: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط)[1]، فالعبودية للسالف ذكره استلاب لحرية العقل ودفن لطاقاته الإبداعية، يقع المرء من خلاله تحت سطوة اللذة العاجلة واللحظة الراهنة، بيد أن التحرر من العبودية لغير الله دعوة مفتوحة لالتحام بالكتلة العمرانية لنعيد للأمة تميزها ودورها الفاعل، وما التحول المذهل في العقل الجاهلي وإعادة تشكيله إلا من صناعة التوحيد[2].

وهنا أمثل بحديث واحد عن رسول الله ﷺ يبين هذه المسألة بشكل جلي وواضح:

عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول اللهِ ﷺ يوما فقال: (يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)[3]، وفي رواية أخرىٰ عن ابن عباس

=في الإبانة (٢/ ١٢٢)، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٦٩)، والحسن بن سفيان النسوي في الأربعين (ص٥١)، واختلف العلماء فيه بين مصحح ومضعف، وعلته نعيم بن حماد حيث اتهمه بعض الأئمة لكثرة خطئه، وممن صححه الإمام النووي حيث قال: «هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح». الأربعون النووية (ص٤٥)، وضعف إسناده القاسم بن عساكر، وأعله ابن رجب في شرحه للأربعين، والألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٩)، وتحقيقه للسنة لابن أبي عاصم.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية، (ص٧-٨).

(٣) تقدم تخريجه.



أنه قال: (كنت رديف النبي ﷺ فقال: يا غلام! أو يا غليم! ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلىٰ. فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر علىٰ ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وان مع العسر يسرا)[1].

قال ابن رجب الحنبلي: «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتىٰ قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني، وكدت أطيش، فوا أسفىٰ من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم لمعناه»[2].

نجد في هذا الحديث منظومة محكمة الربط، وغاية في السبك، ففي قوله ﷺ: (احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ) بيان لمن هو حقيق بالولاء، وغاية العبد، ومنتهىٰ سعادته، وهي التي تمثل الميزان القويم للحكم علىٰ أفعال العبد، قال ابن رجب: «احفظ الله يعني: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، وحفظ ذلك هو: الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلىٰ ما نهىٰ عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله»[3]، وحفظ أوامر الله ونواهيه تحقق للعبد الحفظ في الدنيا والآخرة، وتحقق مطلبا آخر فضلا من الله يتمثل في معية الله لعبده.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (١/ ٤٦٢).

(٣) المصدر السابق.



وعندما يستشعر العبد حفظ الله تعالىٰ له ومعيته يزداد في التمسك بحفظ حدود الله تعالىٰ وأوامره ونواهيه فمن كانت هذه حاله فأي سعادة يشعر بها تغمر قلبه، وتعمر حياته، وتنير دربه؟.

بين التوحيد والحرية والإبداع:

«لقد أثبتت الدراسات أن الحرية قيمة من القيم الأساسية التي تعمل بمثابة إطار مرجعي ينظم سلوك المبدعين ويحركه»(١)، «وإن من أكثر الجوانب المعارضة للإبداع، شيوع قيم لا تتطابق مع حرية البحث والتعبير والإبداع»(٢).

وإن ذروة سنام الحرية هو التوحيد: «فهو عصب التصور الإسلامي للكون والإنسان والوجود، وهو في حالة تألفه وصفائه وحيويته وانطباقه الباهر علىٰ المعطىٰ القرآني والنبوي يفعل المعجزات»(٣)، وينقل الجبال عن مواضعها، ومن البديهي أن أي خلل يصيب مفهوم التوحيد، سيؤول إلىٰ هدر حرية المسلم وكرامته، واستلاب روحه وقدراته الفعالة، وطاقاته الإبداعية، فلقد كان للتوحيد أثره الواقعي في حياة المسلمين، وفي صنع الحركتين العلمية والحضارية(٤).

فلقد مكث ﷺ ثلاثة عشر عامًا من دعوته يرسخ مفهوم التوحيد ويجذره في نفوس المسلمين، لذا كان يحرص عليه الصلاة والسلام علىٰ أن يكون أول ما يلقن الطفل بعد ولادته (التوحيد) شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه

---

(١) آفاق جديدة في دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم (ص٢٠٨).

(٢) الإبداع وتنميته من منظور تكاملي، مصري عبد الحميد صنورة، (ص١٤٠).

(٣) مدخل إلىٰ الحضارة الإسلامية، (ص٧٠).

(٤) المصدر السابق، (ص٧٥).



(أذّن في أذن الحسن بن علي حين ولدتهما فاطمة بالصلاة)[1].

وحيث إن نشوء الألوهيات البشرية مستمر[2]، وهي تعمل باستمرار علىٰ اختلاس العقول الوثنية التي تلد الأصنام المتعاقبة المتطورة كما تتطور الدودة الصغيرة إلىٰ فراشة طائرة، إذا ما صادفت جواً ملائماً.

فالعبودية تأخذ أشكالاً وصوراً متعددة فلم يكن هذا البعد غائباً في الإشارات النّبوية فالرسول ﷺ يعلن الرفض لكّل أنواع العبودية لغير الله ابتداءً من الأوثان البشرية ومروراً بالمعشوقات الحجرية، وانتهاءً بالمعشوقات الخفية كعشق الهوىٰ والمال والمرأة.

يقول ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه لما جئت به)[3]، ويقول ﷺ: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد القطيفة، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعطىٰ لم يفي)[4]، فالعبودية للسالف ذكره استلاب لحرية العقل ودفن لطاقاته الإبداعية، يقع المرء من خلاله تحت سطوة اللذة العاجلة واللحظة الراهنة، بيد أن التحرر من العبودية لغير الله دعوة مفتوحة لالتحام بالكتلة العمرانية لنعيد للأمة تميزها ودورها الفاعل، وما التحول المذهل في العقل الجاهلي وإعادة تشكيله إلا من صناعة التوحيد.

---

(١) رواه أبو داود في سننه، برقم (٥١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبو داود برقم (٤٢٥٨).

(٢) حقوق الإنسان في ضوء الحديث النبوي، يسرىٰ محمد أرشيد، (ص١٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.



المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات وأثره في الإتقان والإبداع

توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها[1].

وعقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته إجمالا هي أنهم: يعرفون ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعدتهم في كل ذلك قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠][2].

وأهل السنة والجماعة: لا يحددون كيفية صفات الله ﷻ؛ لأنه ﷻ لم يخبر عن الكيفية، ولأنه لا أحد أعلم من الله سبحانه بنفسه، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة:١٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]، ولا أحد أعلم بالله من رسوله ﷺ الذي قال الله ﷻ في حقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣ - ٤].

---

(١) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد خليفة التميمي، (ص٢٩).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية، (ص٥٧)، التدمرية لابن تيمية (ص٢٠) وما بعدها.



وأهل السنة والجماعة: يؤمنون أن الله ﷻ هو الأول ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، كما قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣]، وكما أن ذاته ﷻ لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات؛ لأنه سبحانه لا سَمِي له، ولا كفء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فيثبتون لله ما أثبته لنفسه إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، فحين يثبتون لله ما أثبته لنفسه لا يمثّلون، وإذا نزّهوه لا يعطّلون الصفات التي وصف نفسه بها، وأنه تعالىٰ محيط بكل شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]، ويؤمنون بأن الله تعالىٰ استوىٰ علىٰ العرش فوق سبع سموات، بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علماً[١]، كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز في سبع آيات كريمات بلا تكييف، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، وقال: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦ - ١٧]، وقال: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل:٥٠]، وقال النبي ﷺ: (ألا تأمَنُوني وأنا أمين مَن في السماء)[٢].

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الكرسي والعرش حق، قال تعالىٰ: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والعرش لا يقدّر قدره إلا الله، والكرسي في

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٥/ ٢١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٤٣٥١)، ومسلم في صحيحه، برقم (١٠٦٤).



العرش كحلقة ملقاة في فلاة وسع السموات والأرض، والله مستغن عن العرش والكرسي، ولم يستو علىٰ العرش لاحتياجه إليه، بل لحكمة يعلمها، وهو منزَّه عن أن يحتاج إلىٰ العرش أو ما دونه، فشأن الله ﷻ أعظم من ذلك، بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه(1).

وأن الله تعالىٰ خلق آدم عليه السلام بيديه، وأن كلتا يديه يمين ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء كما وصف نفسه سبحانه فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

وأهل السنة والجماعة: يثبتون لله سمعـًا، وبصراً، وعلمـًا، وقدرة، وقوة، وعزاً، وكلامـًا وحياة، وقدمـًا وساقـًا، ويداً، ومعية وغيرها من صفاته ﷻ التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، وعلىٰ لسان نبيه ﷺ بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها؛ لأنه تعالىٰ لم يخبرنا عن الكيفية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البينة:٨]، ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف:٥٥]، ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة:١٤]، وغيرها من آيات الصفات.

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم،

---

(١) العرش للذهبي (٢/ ١١٦).



ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وسوف يرونه كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، كما قال النبي ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته)[١].

ويؤمنون بأن الله تعالىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولاً حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته قال النبي ﷺ: (ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر؛ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)[٢].

ويؤمنون بأنه تعالىٰ يجيء يوم الميعاد للفصل بين العباد، مجيئًا حقيقيًا يليق بجلاله، قال ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢١- ٢٢]، وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، فمنهج أهل السنة والجماعة في كل ذلك الإيمان الكامل بما أخبر به الله تعالىٰ، وأخبر به رسوله ﷺ والتسليم به.

وإن من أعظم مفجرات الطاقة الإبداعية لدىٰ المؤمن ودوافع الإتقان، الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا.

وإن من أعظم ثمار الإيمان بالأسماء والصفات، استقراء آثارها وانعكاساتها في الخلق والأمر، وقد تعبّد الله تعالىٰ المؤمنين بهذه الأسماء فقال تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٤٨٥١)، ومسلم في صحيحه، برقم (٦٣٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١١٤٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٧٥٨).



فالله تعالىٰ يدعو عباده أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، ومن هدْي رسول الله ﷺ في الأسماء والصفات ما أخبر به قائلاً: (لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحد، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر)(1).

و(حفظ الأسماء) أو (إحصاؤها) هو: إطاقة القيام بحق هذه الأسماء، والعمل بمقتضاها، بحيث يَعتبر المؤمن معانيها، فيُلزم نفسه بها.

ومن حِفْظها: أن يسوّغ الاقتداء بالله تعالىٰ في أسمائه، كالرحيم والكريم، فليمرّن العبد نفسه أن يصحّ له الاتصاف بها.

أما ما كان يختص بالله تعالىٰ كالجبار والعظيم، فيجب علىٰ العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها.

إن إحصاء الأسماء يكمن في العمل والتعقل بمعاني الأسماء، وللإحصاء معانٍ منها: الإحصاء الفقهي، وهو العلم بمعانيها، ومنها الإحصاء النظري، وهو أن يعلم معنىٰ كل اسم بالنظر في الصيغة، ويستدل عليه بأثره الساري في الوجود، فلا تمر علىٰ موجود إلا وهو يَظهر لك فيه معنىٰ من معاني الأسماء، وتعرف خواص بعضها، وموقع القيد ومقتضىٰ الاسم.

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا أرفع مراتب الإحصاء، وتمام ذلك: أن يتوجه إلىٰ الله تعالىٰ من العمل الظاهر والباطن بما يقتضيه كل اسم من الأسماء، فيعبد الله بما يستحقه من الصفات المقدسة التي وُجِدت لذاتها»(2).

(1) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٦٤١٠)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٦٧٧).
(2) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٧).



يقول الشيخ ابن عثيمين: «التعبد لله بمقتضاها، ولذلك وجهان:

الوجه الأول: أن تدعو الله بها، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، بأن تجعلها وسيلة إلىٰ مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور! وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول: أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء، فمقتضىٰ الرحيم الرحمة، فاعمل الصالح الذي يكون جالبًا لرحمة الله، ومقتضي الغفور المغفرة، إذاً افعل ما يكون سببًا في مغفرة ذنوبك، هذا هو معني إحصائها، فإذا كان كذلك، فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة، وهذا الثمن ليس علىٰ وجه المقابلة، ولكن علىٰ وجه السبب؛ لأن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة وليست بدلاً، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قوله: (لن يدخل الجنة أحد بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة)»[1].

ولا شك أن من يصل إلىٰ هذه المنزلة من التعامل مع الأسماء وفقهها، يتولد لديه الإبداع، وتتفجر فيه طاقاته.

إن إحصاء الأسماء الحسنىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خَلْقًا له تعالىٰ، أو أمرًا، إما علم بما كونه أو علم بما شرعه ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنىٰ وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضىٰ بمقتضيه،

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٦٧٣)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٨١٦)، وانظر: القول المفيد، لابن عثيمين (٣/ ١٥).

فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنىٰ، وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه.

فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصىٰ أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصىٰ جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصلٌ لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها، وتأمل صدور الخلق والأمر عن علمه وحكمته تعالىٰ؛ ولهذا لا تجد فيها خللا ولا تفاوتا؛ لأن الخلل الواقع فيما يأمر به العبد أو يفعله إما أن يكون لجهله به أو لعدم حكمته، وأما الرب تعالىٰ فهو العليم الحكيم، فلا يلحق فعله ولا أمره خلل ولا تفاوت ولا تناقض[1].

ومما يفجّر الطاقة الإبداعية لدىٰ المؤمن بالأسماء والصفات «أن يدرك المؤمن تجليات الله تعالىٰ من خلال أسمائه، ويعلم أن لكل كمالٍ، ولكل عِلمٍ، ولكل تقدمٍ ولكل فن – أيـًا كان – حقيقةً سامية عالية، وتلك الحقيقة تستند إلىٰ اسم من أسماء الله الحسنىٰ.

فالهندسة مثلاً عِلم من العلوم، وحقيقتُها وغايةُ منتهاها، الوصول إلىٰ اسم (العَدْل) و(المقدِّر).

والطب مثلاً علمٌ ومهارةٌ ومهنةٌ، فمنتهاهُ وحقيقتُه تستند إلىٰ اسم من أسماء الله الحسنىٰ، وهو (الشافي) فيصلُ الطب إلىٰ كماله»[2].

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (١/ ١٧٠).

(٢) المكتوبات، بديع الزمان النورسي، (ص٢٩٠).



ويُبرِز المؤمن إبداعاته من خلال الفهم الواسع لعقيدة الإيمان بالأسماء الحسنىٰ.

إن المؤمن الذي يتطلع إلىٰ الإبداع، يدرك انعكاس وصف الله بالبديع علىٰ الصنعة المبْدَعة في الكون، فيستيقن بوحدانية الله، وتفرّده وقدرته، ويدرك مكانه ومكانته في الكون البديع، ويسعىٰ إلىٰ الإبداع وإتقان العمل علىٰ نحو بديع. ومَنْ أيقن بإبداع الله تعالىٰ كل شئ، فجّر الله تعالىٰ ينابيعَ الحكمة من لسانه، وأدخله الله ﷻ في دائرة الإبداع.

ومن أسماء الله تعالىٰ التي لها علاقة وطيدة ومؤثرة في الإبداع والإتقان: المحسن، فهو محسن يحب الإحسان، ولذا كتب الإحسان علىٰ كل شيء، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قلتم فأحسنوا)[١].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين أنه قال: (إن الله محسن يحب الإحسان، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة؛ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، ثم ليرح ذبيحته)[٢].

فإذا كان العبد مأموراً بالإحسان إلىٰ من استحق القتل من الآدميين، وبإحسان ذبحة ما يراد ذبحه من الحيوان، فكيف بغير هذه الحالة؟

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٤٠)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٣٠٦)، وفي الإسناد: محمد بن بلال، يغرب، قال ابن عدي: «أرجو لا بأس به».

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، برقم (٦٩٧٥)، وحسنه السيوطي في السراج المنير (٢/ ٨٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (١٨٢٤)، وأصله في مسلم (١٩٥٥).

عن كليب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن)[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

والله لا يرضىٰ بكثرة فعلنا * لكن بأحسنه مع الإيمان

فالعارفون مرادهم إحسانه * والجاهلون عموا عن الإحسان[2]

والإحسان هو غاية الوجود الإنساني، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف:٧]، ولم يقل: أكثر عملاً، فإذا عرف العبد أنه خُلق لأجل أن يختبر في إحسان العمل، كان حريصاً علىٰ الحالة التي ينجح بها في هذا الاختبار؛ لأن اختبار رب العالمين يوم القيامة، من لم ينجح فيه جر إلىٰ النار، فعدم النجاح فيه مهلكة، وقد أراد جبريل عليه السلام أن ينبه أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ عظم هذه المسألة وشدة تأكدها، فقال للنبي ﷺ في حديثه المشهور: يا محمد! أخبرني عن الإحسان؟ أي: وهو الذي خلق الخلق من أجل الاختبار فيه، فبين له النبي ﷺ أن طرقه الوحيدة هي هذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم، الذي هو طريق المراقبة والعلم فقال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم(٤٩٣٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (١١١٣)، وحسنه في صحيح الجامع، برقم(١٨٩١).

(٢) الكافية الشافية، (ص٣٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٥٠)، ومسلم في صحيحه، برقم (٩).

والإحسان نوعان: إحسان في عبادة الله وهو: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فهذان مقامان:

أحدهما: مقام المراقبة، وهو أن يستحضر العبد قرب الله منه واطلاعه عليه؛ فيتخايل أنه لا يزال بين يدي الله، فيراقبه في حركاته، وسكناته، وسره وعلانيته، فهذا مقام المراقبين المخلصين، وهو أدنىٰ مقام الإحسان.

والثاني: أن يشهد العبد بقلبه ذلك شهادة، فيصير كأنه يرىٰ الله ويشاهده، وهذا نهاية مقام الإحسان، وهو مقام العارفين.

فمن وصل إلىٰ هذا المقام، فقد وصل إلىٰ نهاية الإحسان، وصار الإيمان لقلبه بمنزلة العيان، فعرف ربه وأنس به في خلوته، وتنعم بذكره، ومناجاته، ودعائه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم علىٰ رسول الله ﷺ أناس من أهل البدو، فقالوا: يا رسول الله! قدم علينا أناس من قرابتنا، فزعموا أنه لا ينفع عمل دون الهجرة والجهاد؟ فقال رسول الله ﷺ: (حيثما كنتم، فأحسنوا عبادة الله، وأبشروا بالجنة)[1].

والإحسان إلىٰ المخلوقين هو: بذل المعروف القولي والفعلي والمالي إلىٰ الخلق.

فأعظم الإحسان تعليم الجاهلين، وإرشاد الضالين، والنصيحة لجميع العالمين.

ومن الإحسان: إعانة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وإزالة ضرر المضطرين،

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ، برقم (١٧٥٥٣)، والدولابي في الكنىٰ (١/ ١٧٩- ١٨٠)، وحسن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٣١٤٦).



ومساعدة ذوي الحوائج علىٰ حوائجهم، وبذل الجاه والشفاعة للناس في الأمور التي تنفعهم.

ومن الإحسان المالي: جميع الصدقات المالية، سواء كانت علىٰ المحتاجين، أو علىٰ المشاريع الدينية العام نفعها.

ومن الإحسان: الهدايا والهبات للأغنياء والفقراء، خصوصاً للأقارب والجيران، ومن لهم حق علىٰ الإنسان من صاحب ومعامل وغيرهم.

ومن أعظم أنواع الإحسان: العفو عن المخطئين المسيئين، والإغضاء عن زلاتهم، والعفو عن هفواتهم.

ومن كانت طريقته الإحسان، أحسن الله جزاءه، قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]، وهذا استفهام بمعنىٰ التقرير؛ أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الله وإلىٰ عباد الله إلا أن يحسن الله جزاءه.

وقال تعالىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]؛ فالحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله الكريم، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]، ومحبة الله هي أعلىٰ ما تمناه المؤمنون، وأفضل ما سأله السائلون، وسببها من العبد أن يكون من المحسنين في عبادته وإلىٰ عباده، فينال من محبة الله ورحمته بحسب ما قام به من الإحسان.

ومحبة الله ﷻ لعبده المؤمن شيء فوق إنعامه، وإحسانه، وعطائه، وإثابته، فإن هذا أثر المحبة وموجبها، أما هي فأعظم من ذلك وأشرف.

وهكذا حين يستحضر الإنسان أن الله ﷻ مطلع عليه، يرىٰ مكانه ويعلم سره وعلانيته، ويسمع كلامه، فإنه سيعمل بمقتضيات أسماء الله ﷻ، فيدفعه اسم الله:

السميع، والبصير، والعليم إلىٰ مراقبة الله في أقواله وأفعاله. وحين يتذكر اسم الله: القدير، فإنه يرتدع عن ظلم غيره إن قدر عليه؛ لأنه يعلم أن الله علىٰ أخذه أقدر، وحين يتذكر اسم الله: العظيم، والمتكبر، فإن ذلك يدفعه إلىٰ التواضع له، والتخلي عن الكبر واحتقار الناس والتعاظم عليهم، وحين يتذكر اسم الله: الغني، فإنه يضع حوائجه كلها عنده، ويلجأ بذاته كلها إليه سبحانه، فلا يلتفت إلىٰ غير الغني، الذي كل شيء فقير إليه، وهو غني عن كل شيء وكل أحد.

وهكذا..فكلما ازداد علم الإنسان بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، زاد تعظيمه لله، وحسن عمله؛ لأنه يراعي مقتضيات هذه الأسماء.

وفي كتاب الله سبحانه تذكير بهذا، وحث عليه، في مئات المواطن من كتاب الله سبحانه. نجد أن الله سبحانه يحثنا علىٰ فعل شيء ما، ويعقب الحث بذكر اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، كقوله سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [البقرة:١٩٦]، وكقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ [النساء:١٠٦]، وقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [المزمل:٢٠].

وكذلك صفة الإتقان، وهي عامة في الخلق، قال تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ [النمل:٨٨]، فقررت الآية أن الإتقان شامل كل مادة يعيش بها الخلق.

ويؤكد الله تعالىٰ ظاهرة الإتقان وإحكام الخلق بنفي الخلل في أجزاء الكون علىٰ اتساعه الهائل حتىٰ جعل هذا الأمر مجالاً للتحدي بعد إثارة العين النافذة، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾ [الملك:٣ - ٤]، وجاء



تفسير الفطور: الصدوع والشقوق والخلل، بل لا ترىٰ العين في السموات إلا إحكامها و(استجماعها علىٰ ما ينبغي لها)[1].

وهذه دعوة إلىٰ استغلال الطاقات والتأمل والتفكير والتدبّر العميق في كتاب الله المنظور والمسطور، فينظر في كلّ ما حوله من إبداع ليقوده إلىٰ معرفة بديع السموات والأرض، يقول النبي ﷺ: (تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله)[2]، فهذا المنطوق النبوي يدعونا للتفكير في الخلق الذي يقود للعلم والتكنولوجيا، بموازاة إبداعية الله في العالم، ويحذّرنا من التفكير في الذات الإلهية التي تعلو علىٰ الأفهام، وتستعصي علىٰ القدرات البشرية، وهو التفكير الذي يقود إلىٰ البحث في الغيبيات التي لا مجال للعقل، وما يتمخص عن هذا كله من هدر للطاقة العقلية، فإنه يريدنا أن نتعامل مع الكتلة العمرانية، وأن نكشف عن قوانينها لتنمية الحياة التي سُخرت إمكانياتها للإنسان[3].

***

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي (٥/ ٣٦١).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، برقم (٢/ ٣٢٣)، رقم (٨٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٢١٢)، وابن أبي شيبة في العرش (١٦)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٦-١٠٧)، وأورده ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٨٣) وقال: «موقوف وإسناده جيد»، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة (ص١٥٩)، بعد أن ذكر من أخرج الحديث: «وأسانيدها ضعيفة ولكن باجتماعها تكتسب قوة، والمعنىٰ صحيح»، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٩٦)، وضعيف الجامع (٣/ ٣٩).

(٣) انظر: مدخل إلىٰ الحضارة الإسلامية، (ص٧٣)، توظيف السنة النبوية في بناء الشخصية الإبداعية (ص١٤-١٥).

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، علىٰ ما أنعم به من تمام هذا البحث.

وبعد هذه الجولة الماتعة في رياض التوحيد، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها بتوفيق الله تعالىٰ، ومن ثم التوصيات:

أهم النتائج:

١ - أن التوحيد هو أصل الأصول، ولأجله خلق الله الجن والإنس، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وهو أساس هذا الدين، والميثاق الذي أخذه الله علىٰ الناس أجمعين، وبدون التوحيد لا يقبل الله العمل.

٢ - أن هناك علاقة طرديه بين قوة المسلمين وإتقانهم وإبداعهم وبين قوة توحيدهم وتاريخ الأمة الإسلامية، وقيام دولها وسقوطها خير شاهد علىٰ ذلك، وإذا أردنا استعادة أمجاد أسلافنا الموحدين الذين فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، فعلينا بالاقتداء بهم في توحيدهم الخالص لله تعالىٰ، وإتقانهم وإبداعهم لأعمالهم.

٣ - أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان التوحيد هو محور دعوتهم وقضيتهم الأولىٰ التي دعوا إليها أقوامهم.

٤- التوحيد يحرر الإنسان من عبودية العباد والخضوع لغير الله ويسمو به للخضوع للواحد الأحد، ويمنحه الاستقلال والحرية، فالموحد لله لا تتوزع طاقاته، ولا تتبدد جهوده ومشاعره بين آلهة شتىٰ.

وأما المشرك فعنده استعداد داخلي للخضوع للقوىٰ الوهمية، فهو دائمًا في

تمزِّق داخلي وعدم استقرار وطمأنينة؛ لدينونته لآلهة متعددة، ولهذا تجد الموحد يشعر بالراحة النفسية والسعادة القلبية والاستقرار الاجتماعي والإبداع.

٥- عنيت عقيدة التوحيد ببناء الصدر الأول، جيل التلقّي، والحملة الأُول لرسالة الإسلام، وفقًا لهذه المنظومة المتلازمة التي استطاعت أن توجد ذلك الجيل المتّبع دون تقليد، والمبدع دون تجاوز، والمجتهد دون افتآت، والمجدد دون تهوّر أو تبديد؛ فكان جيلاً مثاليًا نموذجيًّا.

٦- إن تخصيص الإنسان بحُسْن التقويم والتعديل فيه فضل عناية بهذا المخلوق، ومزيد من التكريم له، وهذه العناية تشير إلىٰ أن له شأنًا عند الله، ووزنًا في نظام الوجود، ويتبين أن حكمة خلق الإنسان في أحسن تقويم تتناسب مع الغاية التي خلق لأجلها، وهي الخلافة في الأرض.

٧ – حين يقرّ الإنسان بتوحيد الله تعالىٰ في ربوبيته للكون، وأنه يسيّر الكون كله وفق سنن وحوادث ثابتة، من أصغر ذرة إلىٰ أكبر مجرّة، فنرىٰ الموحِّد يُحسن التعامل مع السنن الكونية، ويَنْظر إلىٰ الكون نظرةً صحيحة منضبطة بالمنهج السليم في النظر والتفكير. ويثمر ذلك إتقان الموحد لعمله وإبداعه فيه وعقيدته تدفعه إلىٰ العمل الجاد المخلص؛ لأنه يعلم أنه مأمور بذلك دينًا، وأنه مثاب علىٰ كل ما يقوم به من عمل جلّ ذلك العمل أم صغر.

٨- إن القيود علىٰ الفكر والاعتقاد تحطم مسألة الإبداع، وتَحُول دون التفكير العلمي الخلاّق، فيبقىٰ فكر الإنسان أسيرَ أُطُر الخرافات والخزعبلات، وتقديس أشكال وقوىٰ ومخلوقات، يعتقد فيها الإنسان النفع والضر.

٩ – إن الإيمان بالغيب في العقيدة الإسلامية يعدّ أكبر مفجّر للطاقات الإبداعية.

وإن عقيدة التوحيد التي منحت المسلم الرضىٰ بالله ربـًا ومعبوداً عليه يتوكل وإليه ينيب، وفي فضله يطمع، ومن قوته يستمد، وله يتودد وإليه يحتكم، جعلت منه معتصمـًا بالله مهتديـًا إلىٰ صراطه المستقيم.

١٠- إن هذا الكون لا يصلح بوجود إلهين اثنين، فكذلك قلب العبد، وإن الموحِّد أولىٰ الخلائق بإتقان عمله والإبداع فيه إذا أخذ بسنن الله الكونية والشرعية.

١١- إن أي تغيير شامل ناجح في الدنيا والآخرة لن يتحقق إلا من خلال العقيدة الصحيحة، وهذا هو منهج الإسلام وتجربة قدوتنا ﷺ، حيث أمره الله تعالىٰ أن يثبت عقيدة التوحيد في نفوس الرعيل الأول، ويعمل لأجلها كل ما في وسعه؛ لأنه إذا تقررت العقيدة الصحيحة في النفوس يسهل تحقيق كل شيء، فالتغيير الجذري تظهر حقيقته بعد تحقيق عقيدة التوحيد الفعالة المؤثرة.

١٢ - إن من أعظم مفجرات الطاقة الإبداعية ودوافع الإتقان لدىٰ المؤمن، الإيمان بأسماء الله الحسنىٰ وصفاته العليا. وإن من أعظم ثمار الإيمان بالأسماء والصفات، استقراء آثارها وانعكاساتها في الخلق والأمر.

١٣ - إن عقيدة التوحيد كانت حافزة علىٰ اكتشاف قوانين وسنن الله في الكون والأنفس وتسخيرها لصالح الإنسان الذي سخر الله له الكون والأرض ليستعمرها، وأنها تشجع علىٰ تمثل كل ما لدىٰ الثقافات الأخرىٰ من علوم ومعارف ومهارات، ثم هضمها وإعادة تشكيلها وابتكار حلول جديدة للمشكلات المتجددة.

ومن أهم التوصيات:

١ – أهمية العناية بالتوحيد وبالإيمان بالغيب في العقيدة الإسلامية؛ إذ هو يعدّ أكبر مفجّر للطاقات الإبداعية.



٢- تكثيف الدراسات حول آثار التوحيد الإيجابية على الفرد والمجتمع؛ فالدراسات حول أهمية التوحيد كثيرة ولكن آثاره أيضا بحاجة لمزيد عناية خاصة على ما يتعلق بوقتنا الحاضر.

٣- التغيير الشامل الناجح في الدنيا والآخرة لن يتحقق إلا من خلال العقيدة الصحيحة، ومن هنا فالواجب على أهل السنة نشر التوحيد ونشر منهج الإسلام؛ لأنه إذا تقررت العقيدة الصحيحة في النفوس يسهل تحقيق كل شيء، فالتغيير الجذري تظهر حقيقته بعد تحقيق عقيدة التوحيد الفعالة المؤثرة.

٤ – أهمية العناية بالإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وبيان آثاره الإيجابية على حياة المسلم فهو من أعظم مفجرات الطاقة الإبداعية ودوافع الإتقان لدى المؤمن، وإن من أعظم ثمار الإيمان بالأسماء والصفات، استقراء آثارها وانعكاساتها في الخلق والأمر.

٥ – بيان كون التوحيد حافزا على اكتشاف العلوم والاختراعات والبحث عن سنن وقوانين الله في الكون والأنفس وتسخيرها لصالح الإنسان الذي سخر الله له الكون والأرض ليستعمرها، وأنها تشجع على تمثل كل ما لدى الثقافات الأخرى من علوم ومعارف ومهارات، ثم هضمها وإعادة تشكيلها وابتكار حلول جديدة للمشكلات المتجددة.



قائمة المصادر والمراجع

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣م.
- الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبدالمجيد عمر، دار الغرب الإسلامي، ليبيا، ط١، ١٩٩٧م.
- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبدالسند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- الخلاصة في فقه الأقليات، إعداد: علي بن نايف الشحود، من موقع المكتبة الشاملة.
- الدر المنثور، للسيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر – مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.
- سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار الفكر – بيروت.



- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الناشر: دار الفكر.
- سنن الترمذي، لأبي عيسىٰ الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبدالباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
- السنن الكبرىٰ، للبيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٤هـ.
- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، الناشر: دار المعرفة ببيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.
- الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار الشعب – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- صحيح الجامع الصغير، للألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج، لناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة – بيروت.

- فتح الباري، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د.علي دحروج، نقل النص الفارسي إلىٰ العربية: د. عبدالله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د.جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٦م.
- الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عبدالرزاق مهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الحادية عشر، ص٦، ٩، العدد ٤١، صيف ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، كلمة التحرير: طه جابر العلواني، بتصرف.
- مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- مدارج السالكين، لابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- مسند أبي يعلىٰ، لأبي يعلىٰ الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- مسند الطيالسي، لأبي داود الطيالسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- مصنف ابن أبي شيبة، لابن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، الإشراف الفني والمراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات، والبحوث في دار الفكر دار الفكر.



- المعجم الأوسط، للطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق، ط٤، ١٤٢٥هـ.

❋ ❋ ❋

List of Sources and References

- Informarea semnatarilor cu privire la autoritatea Domnului lumilor, de Ibn al-Qayyim, editat de: Taha Abdul-Raouf, Beirut, Dar Al-Jeel, 1973 CE.
- Credința în Dumnezeu și impactul său asupra vieții, Abdul Majeed Omar, Dar Al-Gharb Al-Islami, Libia, Ediția 1: 1997.
- Tafsir al-Tahrir și Iluminismul, de Ibn Ashour, editorul: Editura Tunisiană - Tunisia, anul publicării: 1984 AH.
- Interpretarea Marelui Coran, de Ibn Kathir, investigatorul: Sami bin Muhammad Salama, editorul: Taibah House for Publishing and Distribution, Ediția: Ediția a II-a 1420 AH - 1999 d.Hr.
- Jami al-Bayan despre interpretarea versetului Coranului, de al-Tabari, editat de: Dr. Abdullah bin Abdul-Mohsen al-Turki, în cooperare cu Centrul pentru Cercetări și Studii Islamice din Dar Hajar , Dr. Abdul-Sanad Hassan Yamama, editor: Dar Hajar pentru Tipărire, Editare, Distribuție și Publicitate, Ediție: Prima, 1422 AH - 2001 d.Hr.
- Colectorul de știință și guvernare, de Ibn Rajab, investigatorul: Shuaib Al-Arna`out - Ibrahim Bagis, editor: Fundația Resala - Beirut, ediția a VII-a, 1422 AH - 2001 d.Hr.
- Al-Jami 'Ahkam al-Qur'an, de al-Qurtubi, investigatorul: Hisham Samir al-Bukhari, editor: Dar Alam al-Kutub, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Ediție: 1423 AH / 2003 CE.
- Concluzie privind jurisprudența minorităților, pregătită de: Ali bin Nayef al-Shuhud, de pe site-ul web complet al bibliotecii.
- Al-Durr al-Manthur, de al-Suyuti, editat de: Centrul de cercetare Hajar, Editura: Dar Hajar - Egipt, Anul publicării: [1424 AH - 2003 CE].
- Seria Hadiths Slab, de Al-Albani, Editor: Biblioteca Al Maaref - Riyadh.
- Sunan Ibn Majah de Imam Ibn Majah Al-Qazwini, editat de: Muhammad Fuad Abdel-Baqi, Editura: Dar Al-Fikr - Beirut.
- Sunan Abi Dawood, de Abu Dawood Sulaiman bin Ash'at al-Sijistani, editat de: Muhammad Muhi al-Din Abdul Hamid, editor: Dar al-Fikr.
- Sunan al-Tirmidhi, de Abu Issa al-Tirmidhi, investigație și comentariu: Ahmad Muhammad Shakir (partea 1, 2), Muhammad Fuad Abd al-Baqi (partea 3) și Ibrahim Atwa Awad, profesor la Al-Azhar Al -Sharif (partea 4, 5), editor: The Library Company și Mustafa Press Al-Babi Al-Halabi - Egipt, Ediția a doua, 1395 AH - 1975 CE.
- Al-Sunan Al-Kubra, de Al-Bayhaqi, Editor: Consiliul Departamentului Cunoașterii Regulare situat în India în orașul Hyderabad, Ediția: Prima ediție - 1344 AH.
- Sunan Al-Nasa'i, de Ahmad bin Shuaib Al-Nasa'i, editor: Dar Al Maarifa în Beirut, Ediția a V-a: 1420 AH.
- Shaab Al-Eman, de Al-Bayhaqi, editat de: Muhammad Al-Saeed Bassiouni Zaghloul, Editura: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - Beirut, Prima ediție, 1410.



- As-Sahhah, de Al-Jawhari, editat de: Ahmed Abdul-Ghafoor Attar, editor: Dar Al-Alam Al-Malayyeen - Beirut, ediția a patra: 1407 AH - 1987AD.
- Sahih Ibn Hibban de Abu Hatim Muhammad Ibn Hibban Al-Basti, investigatorul: Shuaib Al-Arnaout, Editor: The Resala Foundation - Beirut, Ediția a II-a, 1414-1993.
- Sahih Al-Bukhari de Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, Editura: Dar Al-Shaab - Cairo, Ediția: Prima, 1407-1987.
- Sahih al-Jami al-Sagheer, de al-Albani, editorul: The Islamic Office.
- Sahih Sunan Ibn Majah, de Al-Albani, Editura: Biblioteca de editare și distribuție Al Maarif, Riyadh, Prima ediție, 1417 AH.
- Sahih Muslim, de Abu Al-Hussein Muslim Bin Al-Hajjaj, de editor: Dar Al-Jeel Beirut + Dar Al-Horizon Al-Jadeeda - Beirut.
- Fath Al-Bari, de Ibn Hajar, numărul cărților, capitolelor și haditelor sale: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, regizat, corectat și supravegheat de: Moheb al-Din al-Khatib, cu comentariile savantului: Abdulaziz bin Abdullah bin Baz, editor: Dar al-Maarifah - Beirut, 1379.
- Scout of Art Names, Autor: Muhammad bin Ali Ibn al-Qadi Muhammad Hamid bin Muhammad Saber al-Faruqi al-Hanafi al-Hanawi, prezentat, supravegheat și revizuit de: Dr. Rafiq Al-Ajam, editat de: Dr. Ali Dahrouj, traducând textul persan în arabă: Dr. Abdullah Al-Khalidi, traducere străină: Dr. George Zinani, editor: Lebanon Library Publishers - Beirut, prima ediție - 1996.
- Al-Kashaf, de Al-Zamakhshari, editat de: Abdul Razzaq Mahdi, Editura: House of Revival of Arab Heritage - Beirut.
- Jurnalul Islamic al Cunoașterii, Anul XI, P.6, 9, Numărul 41, Vara 1426 AH / 2005 CE, Cuvânt de editare: Taha Jabir al-Alwani, adaptat.
- Majmoo 'al-Fatawa, de Ibn Taymiyyah, anchetatorul: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, editor: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Madinah, Arabia Saudită, anul publicării: 1416 AH / 1995 CE.
- Madaraj al-Salekeen, de Ibn al-Qayyim, investigatorul: Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, editor: Arab Book House - Beirut, ediția a III-a, 1416 AH - 1996 d.Hr.
- Musnad din Abi Ya'la, de Abu Ali al-Mawsili, investigator: Hussein Salim Asad, editor: Dar al-Ma'mun Heritage - Damasc, Ediția I, 1404-1984.
- Musnadul Imamului Ahmad, de Ahmad bin Hanbal, investigatorul: Al-Sayed Abu Al-Maati Al-Nuri, Editor: Alam Al-Kutub - Beirut, Prima ediție, 1419 AH - 1998 d.Hr.
- Musnad Al-Tayalisi, de Abu Dawood Al-Tayalisi, editor: Dar Al-Marifa - Beirut.
- Musannaf Ibn Abi Shaybah, de Ibn Abi Shaybah, confiscat și comentat de profesorul Saeed Al-Lahham, Supraveghere tehnică, revizuire și corectare: Biroul de studii și cercetare din Dar Al-Fikr, Dar Al-Fikr.
- Al-Mujam al-Awsat, de al-Tabarani, anchetatorul: Tariq bin Awad Allah bin Muhammad, Abdul-Muhsin bin Ibrahim al-Husseini, editor: Dar al-Haramain - Cairo.
- Lexicon Al-Waseet, pentru Academia de Limbă Arabă din Cairo, Biblioteca Al-Shorouk, Ediția a IV-a: 1425 AH .



